ظلام القلب

خواطر

آلاء سيف الدين أحمد

ظلال القلب

"نبذة عن الكتاب"

"يأخذك هذا الكتاب في رحلة عبر مشاعر متباينة، حيث تبدأ رحلتك مع نصوص مليئة بالتأملات العميقة. يفتح الكتاب نافذة على عوالم داخلية متشابكة، تعبر عن حالات إنسانية متجددة."

الفصل الأول

الشعور بالحب

وددتُ أن أكتب لكَ ولكن تبعثرت الحروف فلم أفلح إلتصاقها لأجد كلمات تقال بشخصك، أنت الفارس الذي طالما حلمت به في مراهقتي والتقيت به في شبابي ماذا أقول عنك؟

إنك نادر الوجود كزهرة كادوبول تشبهها في كثير من صفاتها النادرة والمميزة كتمردها العجيب عن كل أزهار العالم فجعلت أوراقها تتفتح ليلاً وتذبل نهاراً،هل علمت يا عزيزي كم أنت مختلف بالنسبة لي ؟ إنها إحدى الكنوز النادرة في عالم النباتات وانت إحدى الكنوز النادرة في عالم البشرية، يقال عنها إنها مخلوقةُ من الضوء نفسهِ، وأقول عنك إنك أنت مصدر ذاك الضوء.

وقد نقشت كل معاني الود والهيام على قلبٍ كان جاهلاً بتلك المعاني، علمته أن هناك حياة أخرى غير التي نعيش فيها تدعى حياة العشق حياة مليئة بالسعادة كطائر اتحرر من قفصه بعد سجن طويل كاد أن يصل الغيوم من فرحته بالتحليق وتغريداتهِ تقول أنا حر ، حياة مليئة بالتسامح كالبحر يبلع كل شي في أعماقهِ ويمسح أثرها كأنها لم تكن وتعود أمواجه تتراقص، حياة مليئة بالألوانَ المختلفة كقوس قزح سبق ظهوره مطر لطيف للغايه غسلت كل الآلام والجروح وأبعثت البهجه

قبل أن أبحر في شخصك كم مرة قرأت على قلبي المعوذات كيٍ لا أقع في سحر حبك بعد أبحرت وغوصت في أعماقك سلبت قلبي رغما عني رويدًا رويدًا دون إرادتي أحببتكَ لا أعرف متى ولكن أعلم أنك تستحق ذلك كن دومًا بخير عزيزي .

الحب أن يكون قلبِي مطمئنًا وأنت بجانبي ..
الحب أن نكون معاً دائمًا دون خوف ...
الحب أن نتشارك لحظات الفرح والحزن معًا...
الحب أن أتَقبّل فرِحك، و حزنك ،وغضبك وجميع حالاتك..
الحب أن تؤُنسها وتؤانسك ....
الحب أن أرى عيوبك وأتقبلها ،ولا أعتبرها عيوباً...
الحب أن تستمع إليها وهي تروي لك ما حدث خلال يومها ..
الحب أن تخاف الله فيها ،وألا يحزن قلبها..
الحب أن تعِينها على طاعة الله ...
الحب أن تَقُومَا الليل معًا...
الحب أن تقابليه بابتسامة بعد يوم متعب طويل ..
الحب أن تحافظي على بيتهِ ولا تفشي سرهِ...
الحب أن تكوني ملجأ لروحه بعد الله ...

ولنأخذ مثال للحب واحسن قدوه للوفاء قصة حب زينب بنت رسول الله صل الله
عليه وسلم و زوجها ابو العاص بن الربيع .
ذات ليلة أتى ابو العاص للرسول صل الله عليه وسلم، وطلب يد زينب للزواج ، فأبى
النبي ، إلا أن يسألها أولًا ،ويأخذ رأيها ، وبالفعلٍ ، دخل النبي محمد ، وأخبر ابنته أن أبا العاص ، قد قدم طالبًا يدها ، فما كان منها إلا أن احمرت وجنتاها ، وابتسمت على استحياء .

وبالفعل تم الزواج بينهما ، وعاشا سوياً حياة مليئة بالحب ، والمودة ، وأنجبا من الأولاد ، علي ، وأمامة ، وبينما كان أبو العاص مسافراً في إحدى المرات ، فرجع ، وكان النبي قد نزل عليه الوحي ، وعلم أن زوجته قد أسلمت ، فلما دخل إلى بيته ، قالت له زينب : " ثمة مفاجأة كبرى " ، فتركها ، فتتبعته قائلة : " لقد أصبح أبي رسولاً ، وبعث بدين الإسلام ، وقد أسلمت " ، فرد عليها قائلًا : " أما كان يحق لي أن تخبريني ، قبل ذلك ؟ " .

ومن هنا بدأت المشكلة تتفاقم بين الزوجين ، فهي مشكلة خطيرة ، تتمثل في العقيدة المتبعة ، ردت زينب قائلة : " إن أبي صادق وأمين ، ولا يمكن أن أكذب أبي ، لأنه ليس بكاذب ، حتى أن أكثر أهلي ، قد صدقوا برسالته ، وآمنوا به " ، فرد عليها قائلًا : " وأما عني ، فلا يمكن أن أسمح بأن يقال عني أنني أكفر بدين آبائي ، وأجدادي ، وأخذلهم ، من أجل أن أرضي زوجتي ، ولا أقول أن أباك متهم ، فهلا قدرت ذلك ، وعذرت ؟ .فردت عليه قائلةً : " ومن أحق بأن يعذرك أكثر مني ؟ فأنا زوجتك ، وسأظل أعينك على الحق ، حتى تتمكن من الإيمان به " ، ظلت زينب توفي بعهدها لزوجها .

وبعد إسلام زينب ، فاجتمعوا الكفار وذهبوا لأبو العاص وعرضوا عليه أجمل بناتهم ليتزوجهم ويطلق زينب فقال لهم:والله ما أطلقها وما أفارقها أبدًا مهما عرضتم علي من بنات العرب .

حتى مضى عشرون عامًا كاملًا ، وكانت معه في مكه ،حتى جاءت غزوة بدر ، وهنا قرر زوجها أن ينضم إلى صفوف المحاربين من قريش .

فحزنت زينب ، ولم تقتنع بفكرة أن يحارب زوجها أباها ، فذلك أكثر ما كانت تخشاه ، فأخذت تبكي بحرقة ، وتناجي ربها ، وتدعوه كثيراً، فهي إما أن تفقد أباها ، أو تيتم أطفالها ، وهي لا ترغب في أن تفقد أيامنهم ، وتتمنى أن تتوحد صفوفهما ، وأخذت تدعو ربها كثيراً.

خرج زوجها لملاقاة أبيها ، وانتهت الحرب بأسر زوجها ، فلما ذهبت الأخبار إلى مكة بانتهاء الغزوة ، سألت عن أبيها ، فقيل أنه قد انتصر ، فأتبعت بالسؤال عن زوجها ، فقيلٍ أنه قد وقع في أسر المسلمين ، فودت أن تفتديه ، ولم تجد معها إلا عقدا كان لأمها ، وكانت ترتديه دائماً،فخلعته ، وأرسلته مع أخيه ، إلى رسول الله ، فلما ذهب وجد أن النبي كان يجلس ، ويتلقى الفدية ، حتى يطلق سراح الأسرى .

فلما ناوله أخو أبي العاص العقد ، وجد أنه عقد السيدة خديجة ، فسأل متعجباً: هذا العقد فداء لمن ؟ " ، فرد قائلاً : " إنه فداء لابن العاص " ، فما كان من النبي إلا أنه بكى ، وقام ، وخطبٍ في الناس قائلاً : " أيها الناس ، إن هذا الرجل ، لم نر في نسبه إلا خيراً،فهل تسمحون بأن يفك أسره ؟وأن تردوا إلى زوجته عقدها ؟ " فرد المسلمون ، وقالوا : " بلى ، يا رسول الله " .

صمت النبي للحظات ، ثم قال لأبي العاص : " أخبر زينب بألا تفرط في عقد أمها " (ثقه في أخلاقه)، ثم طلب النبي من أبي العاص ، أن ينفرد به قليلاً ، فلما انفرد به ، قال له : " يا أبا العاص ، أردت أن أقول لك شيئاً ، حيث أن الله قد أمرني بالتفرقة بين المسلمين ، والكافرين ، فاسمح ، ورد إلي ابنتي " ، فرد أبو العاص بالموافقة على طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم (رجوله).

أقبل أبو العاص ، وخرجت زينبٍ تستقبله مهللةً على مشارف مكة ، فقال لها على الفور : " إنني راحلٌ " ، فردت عليه قائلةً : " إلى أين سترحل ؟ " ، قال لها : " بل أنت التي سترحلين إلى والدك " فأنظروا إلى هذا الوفاء بالوعد،فاستفسرت منه عن السبب ، فأجابها قائلًا : " حتى يتم التفريق بينك وبيني ، فارجعي " ، فطلبت منه أن يرافقها ، ويسلم لله ، فأبى .

فلملمت أشياءها ، وأخذت أبناءها ، ورحلت ، متجهة إلى المدينة ، ومن يومها والخطاب يطرقون أبواب أبيها ، لمدة ستة أعوام متتالية ، إلا أنها كانت ترفض أي شخص يتقدم إلى خطبتها ، على أمل رجوع زوجها ،ودخوله في الإسلام ، وعقبٍ مرور ستة أعوام كاملة ، خرج أبو العاص بقافلة ، متجهًا من مكة ، إلى بلاد الشام ، وأخذ يسأل عن البيت الذي تسكن فيه زوجته ، ووصلٍ إلى البيت ، وهم بطرق بابها ، فسألته : " هل جئت مسلمًا؟ فكان رده أنه أتى هاربًا فسأله إذا ما كان يقبل الدخول في الإسلام ، ولكنه أيضًا أبى ، فقالت له : " إذًا فمرحبًا بابن خالتي ، أبي أمامة ، وعلي ، لا تخف " ، وعقب صلاة الفجر ، سمع المصلون صوتًا ، يقول : " لقد أجرت ابن الربيع " ، وقالت زينب : " يا حبيب الله ، إنه إن بعد ، فهو ابن خالتي ، وإن قرب ، فهو أبو الأبناء ، وإني قد أجرته ، فخطب النبي في الناس ، فإن أرادوا رد ماله إليه ، وتركه ليرحل ، فليفعلوا ، وإما فالأمر إليهم ، ولا حرج عليهم .

فاتفق الناس علي رد ماله ، ولما وصلوا إلى البيت ، أخبر الرسول الكريم زينب ، بأن تكرم ضيافته ، ولكن لا تسمح له بالاقتراب منها ، فهو محرم عليها ، فسمعت كلام أبيها ، فلما دخلا البيت ، حدثت أبا العاص ، قائلةً له : " هل هان فراقنا عليك ؟ ألا تسلم ، كي نكون معًا فرفض ، ومن ثم أخذ أمواله ، وعاد إلى مكة ثانيةً .

فلما وصل مكة ، أعطى الناس أموالهم ، فشكروه ، لأنه وفى بوعده ، وعلى الفور ، نطق الشهادة ، ثم رجع إلى المدينة في الفجر ، وذهب إلى الرسول الكريم ، ونطق الشهادتين ، وطلب منه السماح إليه ، بأن يرد زوجته ،فذهبا إلى بيتها ، وقبل الدخول ، سألها النبي عن رأيها في الرجوع إلى ابن خالتها ، فاحمرت وجنتيها ، وابتسمت على استحياء أيضًا واخيرًا حل الربيع .

وعقب مرور عام ، توفيت السيدة زينب ، فحزن زوجها عليها حزنًا شديدًا ، وكان شديد البكاء على إثر فقدانها ، ولم يمر عام ، إلا وقد وافته المنية هو الآخر ، رضي الله عنهم جميعًا.

(٢)

يولد الإنسان حراً حتى يقع أسيراً لشيءٍ ما ، وهأنا وقعت في الأسر ، أسرتُ بالحب . كان الليل قد عسعس ساحباً نصف عباءته المظلمة، وهاهو الصبح يتنفس طاوياً نصفها الآخر، ناثراً ضوءه على مهل بالمكان، اكسب الفضاء لوناً يأخذ باللب ويشفي القلب ويغمر الروح بالطمأنينة والإنس .

نسماته الباردة الحنونة تداعب وجهي، رائحتها المميزة تداعب أنفي، فإنه ليحزنَ أن يضيعها فيكون نصيبه منها شهيق عميق يتخلل كل خلايا جسمي لتكون وقوداً لتوليد طاقة ليومٍ طويل . ذلك النجم الساطع وشقيقاته المتباعدات كحبيبات اللؤلؤ على صفحة السماء ، تمردتا على عشيرتهم ليكونا جزء من هذا الوقت التأملي لمن يتفكرون.
صوت النوراس شقشقه العصافير ونشاطها وتحليقها بعيد باحثة رزق أفراخها ألا يتفكر العقل في قدرة الخالق وإلهامه لها سبحانه، أمواج البحر التي تلطم الشطء فرحه بنسمات الهواء التي تلامس سطحه وتنسحب على استحياء كل ذلك يغمرك بالحب والدفء والإنس والحياة بأكلمها .

أن يتعطر لسانك بذكر الله والإستغفار له لتسري في نفسك إحساس الحب فتمتلك الدنيا وما فيها، أن تتحرك حبالك الصوتية بحروف القرآن الكريم لتملوء البيت طاقة، وليكون بيتنا مقر ضيافة ملائكة الرزق ، أن نختم ذلك الأرواح الإيمانية والتأملية والفكرية بكوب شاي مع شروق الشمس بأشعة عسجدية تبعث الكون بالحياة.

فتنظر النباتات إليها وهي ضاحكة فتدرك أن عملها سيبدأ وينتهي بذبح الشمس متدفق من جرحها الشفق الأحمر ويرفع الظلام ستاره معلناً الحداد لها.وقعت أسيرة لكل ذلك التفاصيل، تفاصيل الصباح وما يخصه...

لا يقتصر الحب على حب الأشخاص فقط، بل يشمل حب الأماكن، وأشيائنا الخاصة، ومواهبنا ،و الطقس، والطبيعة، والحيوانات، ومنازلنا .بل حبها يبعث فيها نبض الحياة ، لتظل حية في دواخلنا ما دمنا نتنفس. الحياة هي الحب .

الفصل الثاني

الحياء

رأيتها قادمة من بعيد، رأى قلبي حضورها قبل عيني بنبضهِ القوي، ونبضات قلبي التي تتسارع في كل مرة أراها فيها
وددت لو شجعت نفسي هذه المرة ووقفت أمامها واعترفت لها بمشاعري المكبوتة منذ سنوات.

كان الوقت و المكان المفضلين لقلبي ، بهدوئه وأشجارهِ التي تطوقه بسيقانها وأوراقها العريضة الخضراء. كان رزاز الماء يلامس الهواء من أوراق الأشجار التي حبست ماء المطر الذي هطل منذ دقائق ،وكانت الأرض تفوح برائحة المطر ،والشمس خلف الغيومٍ كأنها لا تود أن تكون شاهدة على فشلي هذه المرة أيضًا،والسحب مسببةً رعداًقوياً كأنها مضجرة من عدم اعترافي بمشاعري لها.

لا أعلم ما الذي يصيبني في كل مرة أراها فيها، فينعقد لساني ولا أستطيع النطق أو الحركة . وعيناي كأنني لا أملك سلطاناًعليها ،فلا أستطيع أن أرفع نظري عنها . في كل مرة تجعلني أستحي بإنحناء رأسها وتوجيه نظرها إلى الأرض التي تمشي عليها يا له من حياء .

في كل مره تنحت في أعماق قلبي مشاعر حب أعمق من سابقاتها ،وتنفجر أسارير قلبي كلما رأيتها بخمارها الواسع الطويل الذي يكاد أن يصل إلى قدميها ،وعباءتها التي تلامس الأرض كعادتها ،ووجهها الذي لا تلوثه مساحيق التجميل ،لم أفلح أبدًا في رؤية يديها وهي تخبئهما وراء خمارها ، لا أعلم سبب ارتباكي وتلعثمي في الكلام ، هل هو من بركان مشاعري المكبوتة وينفجر كلما رأيتها ،أم من حياءها وأخلاقها.

ذهبتِ أيضًا هذه المرة بدون أن أعترف لها ،وما زلت واقفًا في مكاني لا أستطيع الحراك، وقلبي ينزف .
همس قلبي لي بأنها غالية ، ولن تنال إلّا حلالًا.

أخيتي في الله، إني والله أحبك لذلك أريد أن أقول لك هذا ، لا شيء يرفع من شأنك ويعزك سوى حياؤكِ وعفتكِ. فالحياء يضمن عفة قلبك وسلامته من أشباه الرجال ، وفي الحجاب وقاية من الفتن وعيون الذئاب البشرية.
فلا تظني أن تبرجك وقلة حياؤك يجلب لكِ رزقًا لم يكتبه الله لك ، ولا حجابك وحياؤك يمنعان رزقًا كتبه الله لكِ، فلا تنخدعي بأقوال شياطين الإنس والجن، وتذكري دائمًا أن عفتك وحياؤك في زمن كثرت فيه مظاهر التبرج هو جهاد .أيوجد جهاد سهل؟ كلا .

أيضيق صدرك ؟ بقولهم إنك معقدة؟ أيضيق صدرك بقولهم لكِ ناصحين أن تعيشي حياتك و أنتِ صغيرة ؟ أيضيق صدرك بسؤالهم من سيتزوجكِ وأنتِ متسترة بالحجاب؟ أيضيق صدرك بسؤالهم عن سبب تأخر زواجك ،ملقين اللوم على الحجاب ؟ أتعلمين الحل، أخيتي في الله؟
هو الإحتساب،احتسبي كل هذا عند رب العالمين احتسابك وصبرك سينفعانك يوم لا ينفع مال ولا بنون .

ألم يقل رسول الله صلِ الله عليه وسلم عنا إننا المؤنسات الغاليات؟ فكوني غالية أخيتي. إن الإسلام أعزكِ، فلا تظلمي نفسكِ.

الفصل الثالث

ظننا باللّه لا تخيب

حيث كانت السكينة تعم الأجواء، تسربت رائحة الأشجار التي لها سيقان قصيرة عريضة رمادية اللون، ورائحة الورود البيضاء التي حولها، ورائحة الخضرة التي تكسو المكان إلى خلاياي.

كان نسيم الهواء البارد يلامس سطح البحر فيعلو موجه كأن كلاهما يحيي بعضهما بطريقته الخاصة. كانت الفراشات الملونة بألوان قزحية تعلو بالتحليق كلما ارتفع موج البحر، وترجع لتلامس سطحه كلما هدأ موجه لتؤنسه وتأنس به.

كانت الشمس في بداية شروقها فألبست الجبال تيجاناًذهبية. نظرتُ إلى السماء، كانت السماء زرقاء اللون والسحاب الخفيف متناثر كحبيبات اللؤلؤ في بياضه الناصع. كنا في فصل الشتاء.

كنت أجول نظري في المكان، سبحان الخالق ما أبدع صنعه سبحانه الواحد الأحد. كان كل شيءٍ مميزاً، كل شيء حولي خاطف للفؤاد ويدعو للتأمل. كانت أصابعي تلامس حبات الرمل المبتلة، وكتبت عليها اسمها. من هي؟

حبيبة الفؤاد وتوأم الروح من تختلج أضلع الصدر ويعتصر الفؤاد بذكراها. هاج البحر وماج كأن بركاناً انفجر في أعماقه. موجة عظيمة من موجات البحر ألقت بأطرافها على الشاطئ فمسحت ما كتبته كأن البحر يعلم وجعي، كأن البحر يعلم انكسار روحي، كأن البحر يعلم ما فعلته بي، كأن البحر يريد أن يخفي أثرها من قلبي كما أخفى نقش اسمها على الرمل.

ما زلت أتذكر ما فعلته بي وبقلبي وكيف تركتني قبل موعد زفافنا بأيام قليلة.انفطر فؤادي بفعلها هذا.
رحلت دون تبرير، دون أن تقول شيئًا. ما زلت أسأل نفسي: ما سبب تركها لي بهذه الطريقة؟ هل ارتكبت خطأدون أن ألاحظ؟ ما الخطأ الذي ارتكبته ليكون عقابه أن أعيش في قاعٍ مظلم، أن تكون الاحتمالات حبل المشنقة الذي يخنقني، أن تكون الأسئلة السهام التي يطلقها عقلي وتصيب قلبي؟ أيعقل أن يخون العقل القلب؟ ذكراها تستطيع إيلام قلبي بكل ما فيه. لا أفلح في نسيانها، لكن لم أنتظر عودتها. ما زلت أحبها، نعم أحبها، ولكن انقطع أملي بها. لا أريدها.

ويبقى أملي بالله باقيًا. تنقطع الآمال من الجميع ويبقى الأمل به، هو القادر، هو صاحب الآمال وسيدها ومحققها. رجائي إليه فقط أن يعوضني عن آلام قلبي وانكسار روحي، أن يزور الربيع حياتي.

اعلموا يا رفاق أن كل حدث نمر به في هذه الدنيا يحمل رسالة من الله، قدٍ تصل عبر تجربة معينة أو شخص معين ، فتعلموا الدرس جيدًا

وربما تكون الدروس قاسية جدًاولكن أحيانًا تكون الحكمه في قسوتها.

كم مرة قست عليك الدنيا؟ وأصبحت بعدها أقوى وناضجًا؟من القسوة تتولد القوة والثقة . وأحيانًا تكون الحكمة في الألم؛ كم من ناجح اليوم كان حزينًا بالأمس ، الضعف والحزن والألم نقطة انطلاق لحياة جديدة لك فلا تستلم. واجعل شعارك:' النجاح يولد من قلب المعاناة '

وكن على دراية بأنك تحتاج لطاقة حتي تتألم وتحزن، لذلك فعليك أن تختار أن تهدر طاقتك للحزن أو نحو النجاح ، ولا أقول لك أن تتجاهل أحزانك، ولكن عليك أن لا تستسلم لها ، وأن تتعامل معها بحكمه .

هناك أحداث قد لا نفهم حكمتها حتى بعد مرور الوقت ،لا نعلم أين الدرس. ولكن ربما يريد ربك أن يكتب لك أجر الصابرين، فعليك أن تصبر حتى ولو لم تعلم حكمتها، حتى تكتب مع الصابرين .

وأتذكر أن دنيا دار ابتلاء وإنها سجنٍ المؤمن وجنة الكافر وأن المستراح في الجنة فانجو منها كفافاً.

واجعل لكِ ظنًا بالله لا يخيب ،فحاشا الله أن يخيب ظنك به وفِي الحديث عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ اللهُ "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي".

فإذا ظننت بالله خيراً فبشرك بما تظن به لذلك أطلق العنان وظن بالله كل ما تتمناه فليس ذلك على الله بعزيز .
لنحدثكم عن قصة البراء بن مالكٍ المعروف ب'عاشق الموت '.
كانت كل أمانيه أن يموت شهيدًا، ولهذا لم يتخلف عن غزوة ولا مشهد .
وذات يوم، ذهب إخوانه يعودونه، فقرأ وجوههم ثم قال: 'لعلكم ترهبون أن أموت على فراشي.
لا والله، لن يحرمني ربي الشهادة '
ولقدٍ صدق الله ظنه فيه ،فلم يمت البراء على فراشه، بل مات شهيدًا في معركة من أروع معارك الإسلام .

وموسى عليه السلام، عندما كان البحر أمامه وفرعون من خلفه،قال: {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} فشق الله له البحر . فأحسن الظن بربك.

ومن الممكنٍ أن يكون الصديق من غير البشر .فقد تكون الطبيعة صديقًا ٍوالبحر كذلك ،وحيوانك الاليف يمكن أن يكون صديقًا ايضًا. حتى الورقة والقلم يمكن أن يكونا صديقين يستمعان إلى كل ما تريد البوح به .فإذا يئست من شر البشر، هناك العديد من المخلوقات التي يمكن أن تأنس بها.

الفصل الرابع

الكتمان

أن يكون لا مفر من صخرة من المشاعر السلبية الثقيلة على قلبك، حيث أن المكابرة وعدم الاعتراف بها وعدم إعطائها حقها يجعلها تفقد الرغبة في الحياة، فتظل ميتة بين أضلع صدرك، مكفنة بالوهم الذي خلقناه في عقولنا ونعيشه، مدفونة بين دروب الحياة التي تشغلنا عن أنفسنا، بالرغم من وجودها الثقيل على قلوبنا، نتجاهلها.

أحيانًا في هذه الدروب، يمر علينا موقف أو ربما كلمة عابرة، فتهرب من أعيُننا دموعًا دون إرادتنا، فتحيا هذه الصخره وتجري الدماء في أوصالها ، فتنفجر انفجارًا عاطفيًا يؤدي بالشخص إلى نقطة حرجة، حيث لا مهرب الآن. حينها تفرض الآلام نفسها ،وأن نشعر بها وبوجودها ونعيشها رغماً عنا، وأن تتحرر من سجن أنفُسِنا وخواطرنا. هذا هو الكتمان."

شتان ما بين الكتمان وكظم الغيظ:
كظم الغيظ هو أن تكون مدركًا لمشاعرك تمامًا وتكون قادرًا على الرد، ولكنك تختار الصمت ابتغاءللأجر. أما الكتمان، فهو أن تكتم مشاعرك مكابرةً، أو بسبب عدم القدرة على التعبير عنها، أو ربما لأنه لا يوجد من يسمعك ،وهناك أشخاص لا يحاولون التعبير عن مشاعرهم من الأساس فيقومون بكبتها.

وفي النهاية، يعبر هذا الكتمان بطريقة تؤذي صاحبها ومن حوله، مثل الضب أو التصرفات غير المفهومة أو المعاملة القاسية. ومن المحتمل أن تعبر هذه المشاعر عن نفسها من خلال مرض مزمن أو أزمة قلبية.

فعليك، عزيزي، أن تدرك خطورة الأمر وتعبر عن مشاعرك بدلامن كبتها. وإذا لم يكن هناك من يسمعك، فالله يسمع ويرى.

اشكُ إلى ربك وحرر مشاعرك حتى لا تبقى مكبوتة
بداخلك،إذا صعب عليك البوح، فإن بوح القلب يكون أسرع
وصولاً إلى السماء، فدع الدموع تبوح بما في قلبك؛ هل
يخذلك الله؟ حاشا. سترجع وقلبك مخضر، هادئ ومطمئن.

الفصل الخامس

الأثر الطيب

أن أكتب عنك ليست بالأمر السهل،فكل كلمات المعاجم تبدو قاصرة عن وصفك ، فجف حبر قلمي خوفًامن أن يقصر في حقكِ ، وهجرتني الأفكار فلم تعد تهمس لي ، هناك مشاعر تحس وتستشعر عندما تسكن النفس ،وعندها تضج الروحُ بالحياة.

هناك أناس لا نستطيع وصفهم حقًا من فرط جمال أثرهم في قلوب الآخرين.

الذي يقابل كل من يلتقي به بابتسامة على وجهه،وحتى وإن لم يكن بينهم سابق معرفة، هو شخص جميل ...

الذي ينتبه لكلماته مخافة أن يتسبب بجرح أحدهم، هو شخص جميل...

الذي يقود سيارته ويتوقف ليفسح الطريق لقطة أو كلب في الشارع حتى لا يؤذيه، هو شخص جميل ...

الذي يساعد سيدةأو سيد مسنَين لقطع الطريق شخص جميل ...

الذي يعامل الناس جميعًا سواسية، دون فرق بين أصحاب المناصب أو الأشخاص العاديين، ودون فرق بين كبير وصغير، هو شخص جميل ...

الذي يحتضن من يلجأ إليه لأي مساعدة دون أن يضجر، هو شخص جميل ...

الذي يتجنب الحديث عن مواضيع قد تكون مؤلمة لشخص محروم منها، هو شخص جميل..

الذي يفرح لفرح الغريب ويحزن لُحزنهِ، هو شخص جميل ....

الذي يُضحك اليتيم ،ويأخذ حق الضعيف ، ويساعد الفقير، هو شخص جميل ...

كل هؤلاء أشخاص أنقياء ، نادرون في زماننا، رُزقوابرقة القلب فهنيئًا لهم .

الفصل السادس

الخذلان

هل ما كنت أعيشه حقيقةً أم كذب؟ السؤال الذي يراودني منذ أربع سنوات، وما زال يراودني.

أتذكر تلك اللحظات؟ أتذكر تلك الأمسية؟ عندما ألقيت كلماتك على قلبي كسكين في يد مجرم يقتل الأبرياء بلا ذنب، فقط لأنه يستمتع بذلك ، هكذا تجلت عدم إنسانيتك في كلماتك.

تمزق وانعصر فؤادي، ضاقت أنفاسي بدت كأنها تؤنس أُذنيّ لم يكن هناك شيء مسموع غيرها، خذلتني عيناي، فهربت دموعي إلى وجنتي، لم يستوعب عقلي وجعلني أعيش حالةً رمادية بين الصدق والكذب لما يحدث .

كانت تلك الليلة صيفية، غير مقمرة لا توجد أضواء تضيء الشارع سواء الأضواء المتسربة من نوافذ المنازل على جانبي الطريق، حتى الطبيعة من حولي كانت قاسية عليّ، فكانت أوراق الأشجار الصفراء الجافة تلطم وجهي كشفرات حادة جدًا.

نظرت إلى عينيك، بعينينا حزينتين ومتعبتينِ، بحثت عن تلك اللمعة التي اعتدت أن أراها، لِكنني لم أرَ شيئًا هذه المرة، أذنايَ كانتا تريدان أن يسمعا(أمازحكِ يا صغيرتي) كعادتكَ لكنكَ لم تنطق شيئًا ، كانت عيناكَ عاديتين لم تستوقفك دموعي ولا نظرة رجائي ، كيف استطاع لسانك أن يوجه تلك السهام إلى قلبي؟ كيف؟

ألم تخبرني بالأمس أنك ستكون الحماية لي ولقلبي، وأنك لن تؤذيني؟ ألم توعد أبي أنك لن تؤذيه فيّ ؟ ألم تقل له سأكون أميرتك كما كنت أميرته ؟ ما الذي فعلته الآن؟ أهانت الأيام؟، أهانت العشرة؟، أم هنت أنا؟

ويبقى السؤال هل ما كنت أعيشهُ حقيقةً أم كذب؟ يا ليتني أجد إجابة!

هل تعلم يا صديقي أن الخذلان قد يكون له منفعة كبيرة لك؟ الخذلان قد يكون مكسباً لقوة جديدة لك ودرساً لم تتعلمه من قبل. أتذكر تلك المرة التي خذلت فيها؟ ماذا تعلمت؟ ألم تصبح قوياً بعد ذلك؟ يكفي أنك تجاوزت ألم وغضب الخذلان لتصبح قوياً.

أعلم أن ألم الخذلان ثقيل على القلب وممزق للفؤاد، ولكن هل تعلم لماذا خُذلنا؟ لأننا رفعنا سقف توقعاتنا لأشخاص أدنى بكثير من توقعاتنا. أعطينا وأعطينا دون أن نضع حدوداً لعطاءنا. العطاء ليس شيئاً سيئاً، ولكن عندما نستسهل بعطاءنا للآخرين، يجب أن نضع حدوداً لذلك.

وأعلم يا صديقي قبل أن تقوم بالعطاء يجب أن تتأكد أن الإناء الذي ستلقي عليه عطاءك يحويه جيداً، وأعطِ كل إناء بقدر ما يحوي من عطاءك، ولا تتجاوز ذلك.

احذر أن تعطي فوق طاقتك حتى لا تُخذل. راجع علاقاتك وراقب من يسئ توقعاتك مرةً بعد أخرى، فاسحب اهتمامك وعطاءك. ولا تضخم توقعاتك تجاه الأشخاص إلا بعد معرفة حقيقية.

كن صديقًا لنفسك وأعلم أن هدفك في هذه الحياة هو أن تضع بصمة لنفسك وأن تبني مكانًا لك في الآخره.
اجعل هدفك من تعاملك مع الناس هو رضا الله سبحانه، ولا تنسى أن لنفسك عليك حقًا، فلا تظلمها.

اجعل حدودك واضحة لسلامتك. نحن نعيش وسط مجتمع ولا يمكننا العيش دون ذلك، ولكن تعلم من تجاربك وانتقي من يناسبك وسط هذا المجتمع."

الفصل السابع

الشعور بالوحده

ما أصعب أن تكون وسط مئات الأشخاصٍ، تراهم وهم لا يرونك، تسمعهم ولا يسمعونك، أن تتكلم متأملًا أن يشعروا بك أو يسمعوك، ربما تلوح بيدك حتى يرونك، لكن دون جدوى، هم لا يسمعونك ولا يرونك.

أن تكون طيفًا تائهًا تتجول بين الطرق رغم ضجيج العالم والسيارات والمصانع والكثير من الزحمة، لكنك هنا وبالحقيقة ليس هنا مكانك. هذا لا يليق بك، هذا الشعور الوحيد الذي يستعمر قلبك في كل الأوقات.

قلبك يتمزق ولا أحد يشعر بك ، أن تكون أنياب الحزن تنغرز في أعماق قلبك ومتعطشة لدمائه ولا أحد يعينك لتدواي ما خلفته من جروح. أن يسرق الألم دموعك وسط جوف الليل، أن تواسيك يديك وتحتضنك، وأن تبتلع وسادتكٍ الدموع حتى يسحب الليل عباءته المظلمة ويتسلسل الفجر طاوياً نصفها الآخر، وعليك أن تتصرف وكأنك نعمت بنومٍ في ليلة ساكنة هادئة على قلبك. وكل هذا لا يعلم به أحد ليخفٍف عنك. هكذا الشعور بالوحدة يا صديقي...

ولكنك كنت مخطئًا لأنك هرولت إلى الناس لتأنس بهم، وهم ربما أضعف حال منك. علينا أن نُناجي الله ولا نرجو العون من سواه. أتعلم يا صديقي، الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء من الخلق. علق قلبك بالله وحده، حينها يجد قلبك أنيسًا لا ينقطع ولا يخون ولا يجرح...

انت لست وحيد ، فالله معك دائمًا. يسمعك إذا تحدثت، يلبي لك إذا دعوته، يؤنس وحشتك إذا توجهت إليه ، فهرول إليه وسوف تتعجب من عظمة عطائه .

ألا تذكر يونس عليه السلام ،الذي طاف الحوت به البحار كلها ، وهو في بطنه، رغم ظلمات البحر وضيق المكان،لم يكن يونس وحيدًا لأنه استعان بالله الواحد الأحد.
(فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (87 الأنبياء)

وكذلك كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، عندما خرجت وحيدة من دارها بعد إسلامها وهي في سن السابعة عشر ربيعًا مهاجرة بقدميها من مكة إلى المدينة، رغم الصعوبات والظروف القاسية من حرارة الشمس والظلام الدامس في الليل، لم تشعر بالوحدة لأنها استعانت بالله. فنزل جبريل حاملاً آيات من الله عزه وجل رحمة بقلبها

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) الممتحنة (10)

ولكنك كنت مخطئًا لأنك هرولت إلى الناس لتأنس بهم، وهم ربما أضعف حال منك. علينا أن نناجي الله ولا نرجو العون من سواه. أتعلم يا صديقي، الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء من الخلق. علق قلبك بالله وحده، حينها يجد قلبك أنيسًا لا ينقطع ولا يخون ولا يجرح...

وموسى عليه السلام، الذي كان رضيعًا في التابوت صغير ضعيف لا يفقه شيئًا كان الله معه، الذي دبر أمره بكل رعاية .

يوسف عليه السلام أيضًا، الذي ألقاه إخوته في البئر ، لم يكن وحده، بل كان الله معه، وأوحى إليه إنه ناجٍ فلا يخاف .

ولقد عانيت لحظات من الوحدة في حياتي،ولكنني وجدت أن الدعاء واللجوء إلى الله كان لهما الأثر الأكبر في تخفيف تلك الوحدة.

انت لست وحدك، فالله معك دائمًا، وسيرد عليك برحمته وعطائه.

"نبذة عن الكاتبه"

آلاء سيف الدين أحمد، تدرس هندسة كيميائية ،من مواليد السودان، ولدت في مدينة بربر في مايو ٢٠٠٣م.

جميع الحقوق محفوظة ©آلاء2024"